المصطلحات الجغرافية

الدكتور يوسف توني
(القاهرة)

نشرت مجلة «حوليات» التابعة لكلية الآداب في جامعة عين شمس بعددها التاسع مقالا قيما للدكتور يوسف توني ما تزال قيمته العلمية ثابتة وان كان قد مضى عليه نحو سبعة اعوام . والمقال طويل جدا يصلح ان يكون كتيبا نقديا ومرجعا للباحثين الجغرافيين كلما حاولوا نقل مصطلحات جغرافية الى اللغة العربية ، سنعرض افكاره الرئيسية فيما يلي :

1 ـ لكل علم مصطلحاته ، ولعلم الجغرافية مصطلحاته الخاصة به يحق ان توضع في معجم معين مدقق فيه قبل ادماجه في المعجم العام .

2 ـ بسبب اختلاف الدقة في التعبير والتوصيف ـ حتى في اللغات الأجنبية ـ اختلف العلماء في امور قد نراها نحن بديهية : ويضرب على ذلك مثلا : « بالصحراء » فهي تغطي 15،6 مليون ميل مربع بحسب راي بيكر Baker و 8،5 مليون ميل مربع تبعا لراي ثور ونثويت .

« والاراضي الزراعية » تعبير يفهم منه : الاراضي المزروعة فعلا والاراضي القابلة للزراعة ، بينما هو في التعبير الضيق : « الاراضي المزروعة فعلا » وبسبب هذا الاختلاف لم تحدد بالضبط مساحة الاراضي الزراعية في العالم .

ومثل ذلك : خصوبة التربة ـ منطقة خالية من السكان ـ منطقة مزدحمة ـ فيض السكان ـ غيض السكان .. والشرق الاوسط ـ والشرق الادنى .. الخ .

3 ـ في بدء نهضتنا المعاصرة ادخلنا الفاظا ومصطلحات جديدة اما بصورة كلمات دخيلة او معربة مثل : دلتا ـ هنترلاند ـ ارخبيل ـ فيدرالي ـ ارتوازي ـ لابة .. الخ . وخطونا خطوة ثابتة فنبذنا بعض هذه المصطلحات واتخذنا الفاظا اقرب الى الصيغة العربية ، ولو عن طريق المجاز احيانا فاستخدمنا كلمة اتحادي بدلا من فيدرالي مثلا وزمن اللا حياة بدلا من الأوزي . والحوز او الظهير بدلا من هنترلاند ، والمهل بدلا من الماجما .. الخ . الا ان كثيرا من الكلمات استطاعت ان تتجنس بالجنسية العربية حتى اصبح من السخف محاولة تغييرها مثل : دلتا وارخبيل واطلس وبرخان وهاشور .. الخ

4 ـ وصاحب ذلك توليد كلمات عربية الاصل مثل : تجوية . وتعرية .. الخ .

5 ـ اصبح لكثير من الالفاظ معان اصطلاحية لم يكن يعرفها اجدادنا جغرافيا مثل : انكسار ـ صقيع ـ التواء ـ حفرية ـ شاطيء .. الخ .

6 ـ وبعض المصطلحات تتركب من كلمتين مثل: ميل الطبقة ـ جبهة جليدية ـ عمود ترابي ـ الطين الاخضر ـ الفجوة الجافة .. الخ .

7 ـ ان فى لغتنا ثروة من الالفاظ ماتت بسبب عدم استعمالها فمن المستحسن التنقيب على ما يمكن استخدامه للمصطلحات الحديثة ، قال محمد عطية الابراشي : ان فى لغتنا (80.000) لفظة لا نستعمل منها الا نحو (10.000) فقط .

8 ـ الف العرب فى القرون الوسطى عددا كبيرا من المعاجم والموسوعات الجغرافية مثل : معجم البلدان لياقوت . وتقويم البلدان لابي الفداء . ونزهة المشتاق للادريسي . وكذلك للمسعودي والبيروني والمقريزي والقزويني وابن بطوطة والمقدسي كتب قيمة جدا حتى قيل ان خمسين فى المئة من المصطلحات الفلكية فى اللغات الاوروبية من اصل عربي . انها لثروة يفتخر بها ويمكن ان تستغل للتعريب المعاصر غير انها غير مرتبة ترتيبا علميا وتحتاج الى نفض جديد . وساق مثالا على ذلك بعض اسماء السحاب فسرد عشرين مصطلحا لكنها بالفعل فوضى والعلم يحتاج الى ترتيب وتنسيق وتبويب . وعرض مثالا آخر لاسماء الطرق اعده المرحوم سليم الجندي ونقده النقد العلمي النزيه نفسه وقال :

« ان للعرب فى اسماء وانواع السحب او الجبال او الطرق او الكثبان او الاراضي وصفاتها آلاف الكلمات فهل هي مترادفات تحمل نفس المعنى أم هنالك اختلافات وتعريفات دقيقة لكل لفظ ؟ ! ان المعاجم العربية ـ القديمة والحديثة ـ غالبا ما تشرحها شرحا غامضا مبهما مقتضبا لا تبين معه حقائقها ولا تتميز به معانيها مما ينزع عنها صفة العلمية وان كانت لها هذه الصفة قديما » .

9 ـ ربما بسبب تعدد اللهجات فى مختلف الاصقاع العربية وضع اكثر من مسمى لاسم واحد فرياح الخماسين فى مصر تسمى فى ليبيا القبلي وفى تونس التشيلي وكذلك قد يختلف مفهوم المسمى الواحد فى مختلف اللهجات فكلمة « الجبل » فى صعيد مصر هو الصحراء الشرقية وفى برقة هو المراعي الصيفية . وفى تهامة هو هضبة اليمن. ولعل الانعزال الاجتماعي او الاقتصادي ، او ما شابهه ساعد على نمو الفاظ ومصطلحات محلية . على ان هذه المصطلحات المحلية قد تشيع فتصبح عالمية كالمصطلحات المحلية التى وضعها تورمسان Thurmann لوصف التضاريس واخذها من لهجة جورا الفرنسية ، ولنا من لغتنا امثلة على ذلك فلفظ حمادة اخذ من لهجة بدو الصحراء الكبرى وسرير من لهجة بدو برقة وسلوقة من السودان وفقارة من موريتانيا وكلها اصبحت مصطلحات جغرافية عالمية تذاع بجميع اللغات . ولكل بيئة الفاظها ومصطلحاتها حتى فى جميع اللغات فالمصطلحات الجليدية تؤخذ عن روسيا ، والصحراوية عن العربية .

10 ـ ان استمرار استخدام الكلمات الاجنبية لدى علمائنا دليل على انهم لم يتمكنوا من ايجاد مقابلها العربي . وان منع دخول الكلمات الاجنبية الحديثة معناه منع دخول المعاني والافكار التى تعبر عنها هذه الافكار ولا يعيبنا أن نستضيف كلمات جغرافية ليس لها فى عالمنا وجود ونتبناها كما فعلت اللغة الانجليزية حديثا وكما فعلت العربية فى الماضي فتبنت مثلا : الكافور والسندس والصندل والياسمين والسوسن والبلور والنرجس والبنفسج وقنطرة وقنطار وقرميد وبطريق ... الخ .

11 ـ لم يتفق الجغرافيون العرب المعاصرون حتى الآ على وضع الفاظ محدودة للمعاني الجديدة ، حتى فى داخل الدولة الواحدة مثال ذلك المصطلحات التالية : (الدلتا المروحية) (الدلتا الجافة) (المروحة الغرينية) ثلاث مصطلحات مفهومها واحد . وكذلك : جرف وحافة . وكذلك البنية والتكوين والتشكيل والتركيب والبناء مقابل كلمة Structure

12 ـ وقد يترجم بعضهم المصطلح ترجمة فى جملة وهو نقص فى دقة التعريب يجب ان يكون مقابل المصطلح مصطلح عربي مماثل .

13 ـ ان علم الجغرافية بحكم انضمامه تحت لواء الآداب كان اكثر صلة باللغة العربية وخدم علماء الجغرافية اللغة بالتعريب خدمة جلى . ولما كان للجغرافيا صلة بكثير من العلوم فان على

علمائها ان يأخذوا بالمصطلحات التي وضعها الجغرافيون تخفيفا لمتاعب التعريب ووقوفا عند مصطلح واحد معين واغناء المصطلح باشاعته . وهذا ما لم يفعله العلماء مع الاسف بل وضعوا مصطلحات جديدة لما كان قد وضعه الجغرافيون قبلا .

14 ـ ومما يساعد اللغة العربية على الغنى قدرتها على الاشتقاق والتركيب والتجريد والزيادة والاضافة والتصغير بحيث تعد اللغة الوحيدة فى هذا المضمار فقد نضع بالعربية مصطلحا مركبا من كلمة واحدة تعجز اللغة الانجليزية مثلا عن وضعه بأقل من خمس كلمات ..

15 ـ ان صياغة مصطلح من كلمتين معا او اكثر كما تفعل اللغات الاخرى ما زال نادرا فى اللغة العربية مثل : برماء ، وسمال ... وانه بالرغم من وجود محاولات ناجحةفى هذا المضمار كمحاولات الجامعة السورية مثلا الا ان بعض المصطلحات ما تزال غريبة فيها شيء من الثقل .

16 ـ وقد استفيد من اسماء أعضاء الجسم ومن الآلات والحيوان و ... الخ . مصطلحات جديدة حسنة باستخدامها استخداما مجازيا مثل : رقبة البركان ـ قلب المدينة ـ مفتاح الخريطة ـ مروحة غربنية ـ بحيرة مرة .

17 ـ ويمكن استخدام اسماء العلماء كما استخدمتها اللغات الاخرى للمصطلحات الجغرافية مثل : لودبارك ، وجويو ، وكلوزية .

18 ـ وقد عدد الكاتب عددا من المعاجم الجغرافية فوصفها ونقدها نقد الخبير ودعا الى وضع معجم جغرافي عربي جديد يتعاون عليه جغرافيون ولغويون معا ونحن نؤيده فى هذه الدعوة تأييدا بغير حدود .